المكتبة العامة في التاريخ

المكتبات العامة هي مؤسسات ثقافية، يحفظ فيها تراث الإنسانية الثقافي وخبراتها ليكون، في متناول المواطنين من كافة الطبقات، والأجناس، والأعمار والمهن والثقافات، وهي بهذا المعنى تعد من أهم الوسائل التي تعين على نشر المعرفة، والارتقاء بمستوى الفن والثقافة في البيئة.

وهذا النوع من المكتبات ظهر في الشرق القديم منذ زمن بعيد، فمنذ نشأة الحضارات الأولى نجد المكتبات في قصور ومعابد ومساجد مصر وآشور بابل.

وكان العرب والمسلمون في العصر العباسي، والعصر الأموي بالأندلس ذوي شأن من هذا المضمار، فأسس الخلفاء والولاة في المدن الكبرى مكتبات من هذا النوع مثل بيت الحكمة في بغداد، ودار العلم في القاهرة، وخزانة سيف الدولة في حلب، ومكتبة المستنصر في قرطبة.

والحديث عن المكتبات العامة طويل، لكن لا بّد من أن نعرف بعض الشيء من أبنية تلك المكتبات، وغيرها من الأمور الفنية.

لقد كان تنظيم المكتبات العامة معروفاً وموجوداً عند العرب والمسلمين منذ قرون عديدة، وكانت مناهجه وأساليبه تتطور مع الزمن وذلك بما يتناسب مع الحاجة إليه.

وتحدثنا كتب السير عن اعتناء المسلمين وتقديرهم للكتب، وإعجابهم بها، فترتب على هذا التقدير والإعجاب اهتمامهم بالمكتبات، وإقبالهم عليها، وليس هذا فحسب، وإنما بذلوا للمكتبات ما بذلوه من حب وحرص

وتقدير حافل، بصور تدل على هذا الاتجاه الرائع.

ولـذا نراهم قد اهتمـوا بأبنية المكتبات العامة اهتماماً عظيماً لاستقبال الجـماهـير، وقد شُيِّد بناء خاص على طراز معين لمكتبات شيراز، وقرطبة، والنظامية، وكان البناء مزوداً بحجرات متعددة، يربط بينها أروقة فسيحة، وكـانت الـرفـوف مثبتة على الجدران لتوضع فيها الكتب، وبعض الأروقة يخصص للاطلاع والبحوث العلمية.

كما كانت الحجـرات تخصص للنسـخ، وبعضهـا لحلقـات الـدرس والـدراسـة، وحجـرات للمـوسيقى، يلجـأ إليها المطالعون للترفيه وتجديد النشاط، وكانت جميع الحجرات مؤثثة تأثيثاً فخماً ومريحاً، وقد فرشت أرضها بالبسط والحصير لتلائم أذواق الشرقيين الذين كانوا يميلون إلى الجلوس على الأرض ويستعملون مسـانـد ذات أرجـل متقاطعة للقراءة والكتابة، وكان للأبـواب والنـوافـذ ستـائـر جميلة، أما مدخل المكتبة فقد كانت له ستائر سميكة، تحول دون دخول الهواء البارد في الشتاء إلى داخل الحجرات وهكذا نظمت بعض المكتبات.

انتشرت المكتبـات العامة في العالم الإسلامي وحتى وقتنا هذا، ولعل أهمهـا مكتبـة بني عمار في طرابلس الشـام، وكان لهم وكلاء يجوبون العالم الإسلامي بحثاً عن الروائع لضمها إلى المكتبة، وكان بها خمسة وثمانون ناسخاً يشتغلون بها ليلاً ونهاراً في نسخ الكتب، وقد ذهبت هذه المكتبة طعماً للنار عندما احتل الصليبيون المدينة سنة (١٠٠٩م).

وفي عهد الخليفة المنصور، كانت بيت الحكمة في بغداد (١٧٠هـ). وكانت مخطوطات التراث ودفاتر العلم تحفظ في قصر الخلافة ببغداد، حتى ضاق عنها على سعته.

ثم كان عهد هارون الرشيد، الذي اتجه إلى إخراجها من جدران القصر، بعد أن تضخم رصيدها من التراث المدون والمخطوطات المؤلفة والمترجمة، لتكون مكتبة عامة مفتوحة الأبواب للدارسين وطلاب العلم، وبدأ بتأسيس دار رحبة ضخمة للمكتبة، نقل إليها تلك الذخائر، فكانت أكبر وأقدم المكتبات العربية العامة.

وفي بيت الحكمة خصص جناح للترجمة التي واصلت نشاطها غير مكتفية بما سبق نقله من تراث الفكر القديم، وقد جيء بكتب الطب من أنقرة وعمورية وبلاد الروم، وعهد بها إلى ابن ماسويه السوريانى الذي قام بترجمتها، يعاونه عدد من المترجمين والكتبة الحذاق، كما جيء بكتب الحكمة والفلك من فارس، وعهد بها إلى أبي سهل الفضل بن نوبخت، الذي نقلها من الفارسية إلى العربية، مواصلاً الحركة التي بدأها ابن المقفع بترجمة تراث الفرس، وأضيف إلى خزائن بيت الحكمة ما صنفه علماء العربية والإسلام في علومهم الاصلية، إلى جانب ما دونوه من تراثهم المجموع.

ومات هارون الرشيد، وبيت الحكمة زينةُ بغداد عاصمة المدن العربية والإسلامية، ورصيده من ذخائر الكتب المؤلفة والمترجمة يعيد إلى الأذهان ذكر مكتبة الإسكندرية الكبرى.

فلما ولي عبدالله المأمون الخلافة، لم تشغله شواغل السياسة والحكم عن الاهتمام ببيت الحكمة، فبعث رسله إلى آسيا الصغرى وقبرص والهند والحبشة في طلب الكتب، وجنّد المترجمين لنقل ما حمل إلى بيت الحكمة من كتب يونانية، وسريانية، وفارسية، وهندية، وإفريقية، حتى بلغ ما أنفقته الدولة على ترجمة كتب اليونان وحدها ثلاث مئة ألف دينار فيما يروون.

وتتلقى بيت الحكمة جديد المصنفات العربية والإسلامية التي شارك

فيها علماء المسلمين من الفرس، والروم، ومصر، وغيرها من أقطار الدولة، ممن تعرب آباؤهم وأجدادهم بعد الفتح.

ومن أشهر من تولّى منصب القيّم على بيت الحكمة من عصر المأمون سهل بن هارون الفارسي الأصل، وكانت تحت إشرافه مئات من المترجمين، والخطاطين، والنساخ، وظلت دار الحكمة ببغداد حتى لقيت مصيرها الفاجع مع سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ.

وأما دار الحكمة في القاهرة، فقد أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي من جمادى الآخرة ٣٩٥هـ، وكما أشرت فقد أراد الحاكم بأمر الله الفاطمي بها أي(دار الحكمة)، أن تكون منافسة لبيت الحكمة في بغداد، فزين بناءها، وفرش أرضها، وعلق الستور على أبوابها ومداخل طرقاتها، وحمل إليها من خزائن قصره والقصور الأخرى ما لا يُرى مثله، وزودها بكل ما يحتاج إليه الباحث من ورق ومحابر وأقلام، وأقام فيها طائفة من القراء والفقهاء والمنجمين والنحاة وعلماء اللغة، ومعهم عدد من الموظفين والخدم من أجل خدمة الناس من جميع الطبقات للتعليم أو القراءة أو النسخ، وبقيت دار الحكمة قائمة حتى عهد صلاح الدين الأيوبي.

ووجد في السامرة زمن ياقوت الحموي، دار كتب عامة جليلة، يصفها ياقوت بأنها لم يكن في الدنيا أعظم منها.

أما مكتبة سابور بن أردشير، فقد أسسها وزير بهاء الدولة البويهي سابور، وسميت باسمه، وكان ذلك سنة ٣٨٢هـ، ويقول ابن تغري بردي: وفيها بنى الوزير أبونصر سابور بن أردشير دار بالكرخ، سماها (دار العلم)، ووقفها على العلماء، ونقل إليها كتب كثيرة، وقد بلغ عدد كتبها (١٠٤٠٠) مجلداً من أصناف العلوم المختلفة، منها مئة مصحف بخطوط بني مقلة، وفيها عدد كبير من الكتب التي امتلكها رجال مشهورون، وأغلب الكتب

بخطوط أصحابها، وقد رُدَّ النظر في مراعاتها والاحتياط عليها إلى رجلين من العلويين، يعاونهما أحد القضاة.

وقد ازدهرت هذه المكتبة ازدهاراً رائعاً، وذاع صيتها في الآفاق وقصدها الأدباء والعلماء والشعراء من الآفاق، وضربوا إليها آباط الإبل، وذلك لشهرة الرجال الذين وقفوا أنفسهم على خدماتها وإدارتها.

هذا ويعتبر أبوالعلاء المعري الشاعر المعروف، أشهر من قصد بغداد، وخاصة لزيارة دار العلم هذه، والتعرف على محتوياتها، وعلى الأدباء والعلماء الذين كانوا يرتادونها، ويرد ذكرها في مؤلفاته، كذلك يرد ذكر أمنائها أمثال عبدالسلام البصري وأبي منصور الخازن.

وقد كان المشرف على دار العلم آنذاك الشريف المرتضى، وكان الخازن أبا منصور، ويذكر أبوالعلاء عنه: «الذي أقدمني إلى تلك البلاد مكانة دار العلم بها».

ومن المكتبات العامة أيضاً دور العلم التي ظهرت في عهد الفاطميين، وكانت أول المكتبات العامة التي اعتمدت على مبدأ الوقف في وقف الكتب، ويمكن اعتبارها استمراراً لبيت حكمة المأمون، ومرت دار العلم الفاطمية بثلاث مراحل مختلفة خلال ١٧٢ سنة، وتأسست عام (٣٩٥هـ-١٠٠٤م)، ثم في عام (٤١٠هـ- ١٠٢٠م) تغيرت شخصياتها، وأصبحت مركزاً للدعاية ضد السنة، ثم في سنة (٥١٣هـ- ١١١٩م) أغلقت لأنها ساعدت في تدبير مؤامرة لانقلاب ضد المبدأ السائد، وعاشت فترة هامة بعد ذلك انتهت بدخول صلاح الدين الأيوبي.

ومنذ افتتاحها ٣٩٥هـ اهتم الحاكم بهذه المكتبة، وببنائها، وديكورها، حتى قيل بأنها أحسن مكتبة في الإسلام، وجمعت كتباً في مختلف المواضيع

من جميع أنواع العلوم والمعرفة، وكتباً مكتوبة بخط أحسن الخطاطين والنساخ، وعندما فتحت هذه المكتبة استقبلت جميع الناس دوت تمييز طبقي، وكان العمل ميسراً حيث إن الأدوات الضرورية كالحبر، والورق والأقلام كانت تحت تصرف القراء، وكان بها العديد من الموظفين القائمين على خدمة الجمهور، وعلى طول العالم الإسلامي أنشئت دار العلم في البصرة، وبغداد وطرابلس وغيرها.

كما أنشئت دار العلم في القدس، حيث أمر الحاكم بأمر الله الفاطمي بتحويل إحدى الكنائس إلى دار علم، وعندما جاء الصليبيون تحولت دار العلم إلى كنيسة مرة أخرى.

وإلى جانب دار العلم، كان هناك مكتبات عامة في الجوامع، مثل مكتبة جامع حلب، ومكتبة جامع بني أمية، ومكتبة العمراني.

ومن المكتبات العامة أيضاً، دار الكتب المصرية، إحدى روائع المكتبات العامة في العالم الإسلامي، وهي لا زالت قائمة حتى الآن، فقد أنشئت سنة (١٢٨٧هـ-١٨٧٠م)، وأهدي إلى المكتبة عدة خزائن ضخمة لأكابر العلماء، كالخزانة التيمورية، ولا تزال هذه المكتبة في تقدم وازدهار حتى صار مجموع ما بها من كتب أكثر من مليون مجلد، وقد ضمت بعض نفائس المخطوطات العربية، وهذه المكتبة مفتوحة أبوابها لكل طبقات الناس، تزودهم بالعلم والمعرفة الإنسانية، ويأتي إليها الطلاب والعلماء والباحثون من كافة الأقطار العربية والإسلامية.

ولقد أظهر المسلمون في إيران حماساً شديداً في البحث عن أقدم الكتب، ويقول أبو معشر الفلكي: «بأنه منذ زمن بعيد كانت ثمة مكتبة كبيرة أسسها المسلمون هناك، وتضم المزيد من الكتب القديمة، ولما خرجت

هذه المكتبة وجد فيها عدد كبير من الكتب المدونة بالفارسية القديمة، وكان القليل من الأساتذة ممن يستطيعون قراءتها».

ويقول ابن النديم «بأنه في عام (٣٥٠هـ - ٩٦١م) استخرجت الأعداد الكبيرة من الكتب من معظم خزائن هذه المكتبة، ولم يكن هناك من يحسن قراءة محتوياتها، ونفهم من ذلك بأنها كانت مكتبة عامة».

وعن الخزانات العامة أيضاً نتحدث عن: خزانة الكتب العثمانية في حلب، ففي سنة ١١٥٠هـ تولى الوزير عثمان باشا بن عبدالرحمن باشا الدوركي على ولاية حلب، وقد ترجمه المرادي فأثنى عليه، وقال: إنه تولى في مبدأ أمره تحصيل الأموال الميرية بحلب، فأحسن السيرة، واقتنى الأموال الكثيرة، وبنى الدور والقصور والمعاهد، وأجل هذه المعاهد المطبخ والجامع والمدرسة اللذان تم بناؤهما في سنة ١١٤٣هـ، وبنى فيها إحدى وأربعين حجرة، لطلاب العلم ثلاثون، والباقي لأرباب العشائر وإلقاء الدروس وخزانة الكتب، وفي أثناء عمارته المسجد والمدرسة سمّي متسلماً لحلب، ثم أنعم عليه برتبة الوزارة وولاية طرابلس، ثم ولاية دمشق، ثم ولاية حلب سنة ١١٥٠هـ، وما زال يتقلب في مناصب الدولة، إلى أن استقر في ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي، وفي مكة توفاه الله سنة ١١٦٠هـ.

وقد كانت مدرسته هذه ولا تزال من أعظم مدارس الشهباء بناءً وواردات، وأكثرها طلاباً، وقد وقف على مؤسسته هذه المؤلفة من الجامع والمدرسة والمطعم ومكتب الأطفال، وخزانة الكتب عدة وقفيات، قال في أولاهن وكان ذلك في سنة ١١٤٢هـ: إنه وقف هذه المدرسة وجعل فيها خطيباً وأئمة ومدرساً ومحدثاً وواعظاً ومعلماً للأطفال، وقراء للقرآن وبوابين وقيّمين على السبيل والمكتبة.

وجاء في وقفة ثانية فيما يتعلق بموظفي المكتبة والمدرسين ما يلي: «وفي كل يوم ١٢ عثمانياً لحفظ الكتب، والمدرس، والمحدث، ومن يأخذ الكتب ويفتح الحجرة في كل يوم اثنين وخميس، يدخل الطالب ويجلس في المحل الذي يريده، ويطالع ما يريده من تلك الكتب، ويكتب منها ما يريده، ولا يخرج منها كتاباً إلى خارج الجامع، ويمنع إخراج شيء من المكتبة، وترم الكتب وتصلح في نفس المكتبة، ووظيفة حافظ المكتبة في كل يوم ٢٠ عثمانياً».

وقال في وقفة أخرى مؤرخة سنة ١١٥٢هـ إنه أضاف إلى الموظفين عدد آخر من المدرسين والوعاظ والقراء وغيرهم.

وقال في وقفة أخرى ـ هي الحادية عشر ـ وهي مؤرخة أيضاً في سنة ١١٥٢هـ: إنه وقف على الموظفين والمستخدمين من الناظر والمدرس، والخطيب، والمحدث، والإمام، والوعاظ، وخازن الكتب، والجابي، والكتّاب، والخدام، ومعلم الأطفال، والطلبة في أيام الجمعة وشهر رمضان أن يعطى لكل منهم طاسة من الأرز والزردا ورغيفان من الخبز، وهذا عدا الراتب الرسمي.

وقال الطباخ ما خلاصته: «.. هذه المدرسة أعظم مدارس الشهباء شأناً، وأوسعها بناء، وقبليّها قبة واحدة شاهقة على جدران عريضة، أمامها ضفتان كبيرتان عليهما أربعة عواميد، وعلى طرفيها إيوانان كبيران، بجانبها الأيمن منارة وبستان، وصحن المدرسة واسع جداً، ويحيط به ثلاثة أروقة، ومن ورائها أربعون حجرة، وفي الجهة الشرقية حوس صغير يشتمل على عدة حجر، وخارج المدرسة من الجهة القبلية مكتبة للأطفال وسبيل ماء، وعن يمين الديوان الغربي قاعة التدريس، وحجرة المكتبة، وقد وضع فيها الكتب القيمة من المخطوطات».

والحق أن هذه الخزانة هي أغنى خزائن كتب المعاهد الإسلامية في

حلب، بما وقفه عثمان باشا عليها من المخطوطات النفيسة، وهي مسجلة في وقفية خاصة.

وقد أهملت هذه المكتبة، وسرق منها كثير من نفائس مخطوطاتها، وذلك لإهمال متولي الوقف وقيّم المكتبة، ومهما يكن من أمر، فإن هذه الخزانة تعد من الخزائن الكبرى لما اشتملت عليه من المخطوطات النادرة، على الرغم مما فُقدَ منها.

ومن الخزانات العامة أيضاً نجد خزانة الجامع الأموي الكبير في حلب، وهي أقدم خزائن حلب، وقد كانت ضخمة، تضم نفائس الكتب العربية، وكتب الدين، والأدب، والتاريخ، وعلوم الحديث وكتبه، وقد ازدادت كتبها، حين تولى أمور الديار الحلبية بنو حمدان، فقد ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام ما نصه: «كان بجامع حلب خزانة للكتب، وكان فيها عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة ابن حمدان».

وكان لهذه الخزانة قيّمون يتولون الإشراف عليها، حفظ لنا التاريخ أسماءهم منهم: أبوالحسن ثابت بن أسلم بن عبدالوهاب النحوي الحلبي أحد علماء الشيعة الذي ترجم له السيوطي في «بغية الوعاة» فقال: «هو ثابت بن أسلم بن عبدالوهاب أبوالحسن الحلبي النحوي»،وقال الذهبي: «كان من كبار النحاة شيعياً، صنف كتاباً في تعليل قراءة عاصم، وتولى خزانة الكتب بحلب لسيف الدولة، فقال الإسماعيلية: هذا يفسر الدعوة لأنه صنف كتاب في كشف عوارهم، وابتذاء دعوتهم، فحُمل إلى مصر، فصُلب في حدود الستين وأربع مئة».

ويقول الأستاذ المرحوم الشيخ راغب الطباخ نقلاً عن تاريخ الإسلام للذهبي: «إنه كان أحد علماء الشيعة، وكان من كبار النحاة، صنف كتاباً في تعليل قراءة عاصم أنها قراءة قريش، وكان من كبار تلاميذه ابن الصلاح،

تولى خزانة الكتب بحلب، فقال من بحلب من الإسماعيلية: إن هذا يفسر الدعوة، وكان قد صنف كتاباً في كشف عوارهم، وابتذاء دعوتهم، فحمل إلى صاحب مصر، فأمر بصلبه، واحترقت خزانة الكتب التي في الجامع بحلب، وكان فيها عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة».

ويذكر ابن خلِّكان في ترجمة تاج الدين محمد الخراساني المسعَودي أبوالبركات الهاشمي الحلبي، قال: لما دخل صلاح الدين إلى حلب سنة ٥٧٩هـ، نزل المسعودي المذكور إلى جامع حلب، وقعد في خزانة كتب الوقف، وكان محلها في الشرقية، واختار منها جملة أخذها، لم يمنعه منها مانع، ولقد رأيته يحسُوها في عدل، وظلت هذه المكتبة عامرة، حتى جاء صلاح الدين وقادته، فسيطروا على المؤسسات العامة ومن بينها خزائن الكتب في القاهرة ودمشق وحلب، وما سمعته عن المسعودي وعمله في خزائن الكتب في حلب، قد فعل مثله القاضي الفاضل في خزائن القاهرة.

ويظهر أنه قد ظلت خزانة جامع حلب موجودة طوال العصور المتأخرة، فقد وجدتُ في كثير من الوقفيات الحلبية التي وقفها أصحابها على الجامع المذكور ذكراً لكتب ورسائل وآثار كانوا يوقفونها على طلاب العلم في الجامع المذكور.

ونذكر أيضاً خزانة المدرسة الخسروية، فقد تولى حلب في سنة ٩٣٨هـ الوزير خسرو باشا، وكان محباً للعمران والإصلاح، ولكنه لم يطل مقامه في المدينة، فنقل والياً على مصر سنة ٩٤١هـ، ثم صار وزيراً للخليفة العثماني، وما أن استقر في دار الخلافة حتى أمر مولاه فروخ بن عبدالمنان بإنشاء جامع وتكية ومدرسة في حلب، فشاد مولاه المدرسة والجامع والتكية في بناء واحد واسع في المحلة المعروفة بالسفاحية أمام باب القلعة، ووقف عليها الوقوف الدارة، ثم جاء بعد ذلك مصطفى باشا بن سنان أخو خسرو باشا، فزاد من

أوقافها، حتى أصبحت أغنى مدارس الشهباء، وتعاقب عليها أهل الفضل يدرسون فيها المذهب الحنفي والعلوم العربية.

وقد أقيمت فيها خزانة كتب ضخمة حافلة بالمخطوطات والنفائس، وظلت على ذلك، إلى أن وقعت الزلزلة العظمى بحلب ١٢٧٣، فتصدعت تصدعاً عظيماً، وتهدم كثير من بنائها، وتبعثرت مخطوطاتها، وأصبحت فترة من الزمن مأوى للغرباء والفقراء، إلى أن تولى حلب جميل باشا سنة ١٣١٢، فرمم مصلاها وأصلح بعض شأنها، فأصبحت صالحة لإقامة الشعائر الدينية، وفي سنة ١٣٣٠ تولى إدارة أوقافها المرحوم الشيخ رضا الزعيم الدمشقي والد المرحوم حسني الزعيم، فسعى في استرداد أوقافها، وأصلح ما يمكن إصلاحه من عمرانها، وأعيد بناء قاعات التدريس وحجرات الطلاب، إلى أن كانت سنة ١٣٤٠، فعاد للمدرسة سالف عهدها، وأصبحت أجلّ مدارس حلب، وجعلت فيها خزانة كتب كبيرة كانت نواتها الخزانة المحفوظة في الجامع الأموي، وما تبعثر من المدارس والتكايا والربط من الكتب، وما تبرع به بعض وجوه المدينة كالسيد محمد مرعي باشا الملاح حاكم دولة حلب وغيره، فغدت مكتبة حافلة بالكتب، ثم ارتأى أهل الحل والعقد في المدينة أن ينقلوها من المدرسة الخسروية، إلى بناء خاص بها، فاختاروا لها المدرسة الشرقية، فنقلت إلى ذلك المكان، وأطلق عليها اسم: «دار الكتب الإسلامية».

وفي المغرب نجد أن فكرة تأسيس الخزائن العامة بالمغرب بالصفة التي نعهدها ونعرفها، أي الصفة العمومية، لم تظهر واضحة إلا أيام بني مرين في القرن السابع الهجري، وكانت هذه الخزائن العلمية المرينية توجد غالباً إزاء مدارسهم المؤسسة لطلبة العلم.

وأول خزانة من هذا النوع هي الخزانة التي أنشأها أبويوسف يعقوب

المريني داخل مدرسته المعروفة بمدرسة الخلفاويين قديماً، وتعرف الآن بمدرسة الصفارين، وذلك سنة ٦٧٩هـ، فقد ذكر المؤرخون أن يعقوب المذكور وقف عدة كتب على المدرسة المذكورة، من ضمنها الكتب التي قدمها ملك إسبانيا ليعقوب أثناء وفادته عليه بأحواز الجزيرة الخضراء مستسلماً ومستنصراً، وهكذا تلاه ابنه أبوسعيد في كل من أيام ولاية عهده وبعد استقلاله بالإمارة.

ثم جاء أبوالحسن، وبقي الأمر هكذا في حركة علمية ونشر للمعرفة، إلى أن جاء أبوعنان المريني، وأسس الخزانة العلمية بمسجد القرويين بعدما صار جامعة يقصدها الطلاب من كل ناحية.

ومن المكتبات العامة أيضاً نذكر خزانة أبي عنان بالقرويين، حيث قال ابن الفوطي في أوائل كتابه «الجذوة» عند ذكر تاريخ عمارة القرويين: «وأما خزانة الكتب التي يدخل إليها من أعلى المستودع الذي بها، فإنه لما كان من رأي أبي عنان حب العلم وإيثاره والتهمم فيه والرغبة في انتشاره والاعتناء بأهله، انتدب بأن صنع هذه الخزانة، وأخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع العلوم، كعلوم الأديان، والأبدان، والأذهان، واللسان، وغير ذلك من العلوم على اختلاف أنواعها، وعين لها قيّماً عظيماً وذلك في جمادى الأولى ٧٥٠هـ.

ويتضح من هذا النص الصريح أن أول خزانة بالجامعة القروية أسست للطلبة وعموم المطالعين، هي خزانة أبي عنان هذه، ولا تزال هذه الخزانة قائمة حتى الآن على حالتها القديمة بمستودع القرويين الموالي لحضة العين، وبأعلى بابها الأثري كتابة منقوشة في الخشب، تنص على تأسيس الخزانة، ونسبتها لأبي عنان رحمه الله، وقد كانت تحتوي على نفائس وذخائر، يوجد بعضها بالخزانة المنصورية الحالية، نقل ذلك لها بعد تأسيس أحمد المنصور للخزانة الجديدة.